" الحركة الاقتصادية من خلال السوق في الجنوب الغربي الجزائري قصر بوسمغون أنموذجا "

د. سيرات بوحفص
المركز الجامعي النعامة

- **تعريف السوق**

أ- لغة:السوق –جمع أسواق – موضع تباع فيه الحاجات والسلع وغيرها، وسوق الحرب حومة قتالها، السوق السوداء بيع البضائع والحاجات في ظروف خاصة كالحرب بأثمان استغلالية تفوق أثمانها العادية. والسوق الرسمية البورصة، والسوق الحرة: التعامل خارج نطاق البورصة، وتسوَّق القوم (بتشديد الواو وفتحها) باعو واشتروا.[1] وفي اللغة الآرامية تعني مكانا يتجمع فيه النّاس في موسم معين لتبادل البضائع.

ب-اصطلاحا: السوق أو(القيسارية)[2] في المصطلح الأثري المعماري هو بناء يشتمل على فناء أوسط كبير تحيط به مجموعة من الحوانيت المطلّة على الطريق، يباشر فيها التجار بيعهم وشراءهم.[3] إنّه مكان التبادل التجاري بمعنى البيع والشراء، وهو أحد العناصر المهيكلة للمدينة و للقرية. يقول لله سبحانه وتعالى:وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا [4] . فأي مسار اجتمع فيه الناس ، أصبح سوقا وبالتالي مكان تجارة ، ومن فكرة التجمع نشأت السوق التي تتيح الفرصة لعملية البيع.[5]

ويعرفها ابن خلدون، بأنّها تشمل على حاجات الناس، فمنها الضروري وهي الأقوات من الحنطة، وفي معناها كالبصل والثوم وأشباهه، ومنها الحاجي والكمالي مثل الفواكه والملابس والماعون والمراكب وسائر المصانع والمباني.[6]

2- وظيفة السوق

تعتبر الأسواق الفضاء المؤهل بامتياز للاحتكاك بين الناس المحليين والوافدين، فيتم بينهم التبادل في السلع والأخبار والأشعار، فيشكل بذلك السوق همزة التواصل بين الناس، فضلا عن أثره الجلي في الحياة الاجتماعية والتنظيمية للقرية.[7] ومع التطور العمراني، أصبح السوق قاعدة أساسية لإتخاذ المدينة والإستقرار فيها لأنّه سمتها، ويقوم على سنة المساجد التي ينتظم بها المجتمع الإسلامي حسب المقاييس العرقية والمهنية والجغرافية داخل هيئة عمرانية تشبعت خصوصياتها، ووظائفها وأغراضها في ظل الحكم، والقوانين المسنونة على الشريعة.[8]كما حدد الرسول صلى الله عليه وسلم موضع السوق، لعلمه أنّ الإستقرار لا يقوم إلّا به، فهو مصدر التكسب والتجارة والحرف. روى الطبراني من طريق الحسن بن علي بن الحسن بن أبي الحسن أنّ رجلا جاء للرسول صلى الله عليه وسلم فقال إني نظرت موضعا للسوق أفلا تنظرون إليه؟ قال:" بلى" فقام معه حتى موضع السوق، فلما رآه أعجبه وركض برجله، وقال: " نعم سوقكم هذا، فلا ينقصن ولا يضربن عليكم خراج".[9]

تكمن أهمية السوق بالنسبة للقصر في توفير جميع ما يحتاجه أهل القصر، سواء كانت هذه الحاجات محلية، أو ما تجلبه القوافل التجارية إلى سوق القصر، ونظرا لضيق مساحة القصر كان لابد من وجود سوق يستوعب أكبر عدد

ممكن من التجار، والمستهلكين خارج القصر. كان يتوفر قصر بوسمغون وقصر عسلة على سوق خارجه تعرض فيها مختلف السلع، ففي قصر بوسمغون عند المدخل الرئيسي المعروف" بالباب القبلي" كان يقام السوق وهذا لإبعاد الازدحام عن القصر خصوصا وأنّ شوارعه ضيقة لا تسمح بالحركة الكثيفة فيه، ناهيك عن الحرمة والخصوصية المعروفتين، إذ يؤكد محمد عثمان عبد الستار هذا الرأي :" ولنشاط الأسواق بالمدينة الإسلامية علاقة وطيدة بشوارعها، و أثر كبير في حالة المرور فيها، و قد انعكس ذلك انعكاسا واضحا على خريطة الأسواق في أي مدينة إسلامية، فإنشاء الأسواق الأسبوعية خارج أبواب المدينة كان لما تحتاجه من مساحة كبيرة ، و من رغبة في سهولة الانتقال منها و إليها، و أيضا للرغبة في التخفيف قدر الإمكان من شوارع المدينة الداخلية التي حكمت اتساعها، و نظامها عوامل أخرى، لتوفر لها نوعا من الهدوء و النظافة. كان يمكن أن يفتقد لو أنّ هذه النوعية من الأسواق كانت داخل المدينة.[10] كما أنّ وجود السوق الأسبوعية خارج القصر راجع إلى أنّ مساحة القصر صغيرة، ولا يمكنها استعاب كل الوافدين للتجارة والتسوق. كانت تقام خارج الأسوار، وفي هذا الصدد يرى عبد الستار عثمان بأنّ " تخطيط المدينة الإسلامية تأثر بإنشاء الأسوار تأثيرا مباشرا وخصوصا ما يتعلق بمساحتها، وخلو كثيرا منها من المساحات الفضاء كالميادين المتسعة، والحدائق الواسعة، وإنشاء بعض التكوينات المعمارية خارجها، ولا سيما تلك التي تشغل مساحات كبير كمصلى العيد أو المصارعة(أماكن عرض الجند) أو الأسواق الأسبوعية ...وغيرها إلى إنشائها خارج الأسوار"[11].

كانت السوق تقع دائما خارج الأسوار لأنّ كثافة العمران تجعل من إقامتها داخل المدينة أمر صعب بالنسبة إلى النزعة الفطرية لدى أهل الرّيف إلى تشكيل أنماط حياتهم المألوفة مرّة بعد مرّة.[12]

إنّ السوق خارج القصر بعسلة وبوسمغون كانت تقام يوما واحدا كل أسبوع حتى أنّ حسين مؤنس يشير في هذا المقام إلى أنّ مدن الأرياف والقرى كانت المتاجر فيها لا تقام إلاّ في يوم واحد من أيام الأسبوع، فلكل مدينة في الرّيف، أو قرية سوقها التي يباع فيها، ويشترى كلّ شيء من الأطعمة والمحاصيل إلى الماشية والثياب.[13] وفي هذا الصدد يقول أبو القاسم سعد الله :" وكانت الأسواق تقام في العادة أسبوعيا ويأتي إليها الناس للبيع والشراء، وأهمّ ما يباع فيها العسل والزبدة والصوف والحيوانات والحبوب والخيام. وكانت منسوجات المدن عادة أجود من مصنوعات البادية."[14] كانت المرأة القصورية مساعدة للرجل حيث كان البيت فضاءا للصناعات النسيجية، كالجلابة والبرنوس والأغطية، وقد تواصلت هذه الحرف إلى عهد قريب في قصر عسلة وبوسمغون حتى بعد هجران القصر، إذ كانت هذه الصناعات والحرف تعد كسبا للقوت اليومي وفي نفس الوقت تعبر عن الهوية والذات، وكان هذا حال الصناعات والحرف في المغرب الإسلامي وهذا ما أشارت إليه الباحثة فاطمة بلهواري "كما كان البيت هو الآخر محل للصنعة، إذ غالبا ما كانت الصناعة النسيجية تعمل في البيوت، إذ كثيرا ما كانت النساء تتعاطاها في بيوتهن للارتزاق منها، ففي السياق نفسه ذكر" المالكي "أن " الشيخ العابد إبراهيم بن محمد الضبي " كان يعيش من كد امرأته وكانت تشتري الكتان وتغزله وتغزل منه أبدانا فتبيعها في السوق، فما كان فيها من فضل تقوتا به واشتريا برأس المال كتانا، فمن هذا كان عيشهما[15]". بالإضافة إلى وظيفة السوق التجارية فإنّه كان أيضا ميدانا خصبا لمعرفة الأخبار، ونقلها، وإقامة العلاقات الاجتماعية والتعارف، كما كانت التجمعات في الأسواق منبرا لتوجيه الرأي العام وإعلان الثورة أو

التمرد، وقد تكون الأسواق وسيلة لرفع مطالب معينة. كما كان السوق وسيلة من خلالها يعرفون تطورات الأخبار الأمنية، وخطورة المسالك، بالإضافة إلى معرفة أخبار القصور المجاورة

كانت تخصص أمكنة لإقامة السوق الأسبوعي قريبا من باب القصر بإمكانها أن تسع جميع الوافدين من المناطق المجاورة، سواء بدو أو حضر محملين بمنتجاتهم، ومصنوعاتهم ومحاصيلهم. كما كانت هذه الأسواق إلى جانب كونها مراكز تبادل السلع-مراكز لتبادل الأفكار والشائعات لما يحدث من مناقشات في أمور السياسة والاقتصاد، مما يبرز أهميتها كمراكز اتصال.[16] وللعلم أنّ هذه السوق التي أقيمت خارج قصري عسلة وبوسمغون كانت بسيطة وغير مسقوفة فهي فضاء رحب مفتوح على غرار سوق المدينة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عبارة عن ساحة من الأرض خالية من البناء، سمح لأهل المدينة باستغلالها دون دفع أي أجر ومنع البناء فيها، وهكذا كانت أسواق مدن الأمصار في بداية أمرها أيضا فضاءا لا بناء فيه ولا سقوف سوى ظلال "يواري" من الحصير كان يضعها الباعة لتظلهم.[17]

لقد كانت منطقة الجنوب الغربي معبرا للحجيج المغاربة، إذ كان طريقهم المعتاد، فقيق-بوسمغون- الغسول-عين ماضي- تاجمونت-الأغواط- برج الغيران- سيدي خالد- بسكرة- سيدي عقبة- فتوزر.[18] وهناك من يشير إلى تحسن الحالة الأمنية وانتعاش حركة التجارة، وتعدد التجمعات البشرية، ومما ساعد على حيوية المبادلات وحريتها أن القصر ظلّ في معظم المراحل التاريخية متحررا من أي هيمنة فعلية سياسية للدول القائمة بجواره في الجزائر، والمغرب، فتحول إلى مركز للتجارة الحرة، هذا العامل ينسحب على أغلب المناطق الصحراوية الأخرى.[19] ولكن هناك من يرى أنّ منطقة القصور عانت اللاأمن خلال مرحلة الحكم العثماني مما يدلّ على غياب نفوذ السلطة في فرض وجودها لأجل ضبط سلامة المسالك، وهذا ما يشير إليه الرحّالة أبي العباس الهلالي السجلماسي" فبتنا هناك قرب بوسمغون، وكان في الرّكب رجل يحرس رحله بالليل فكأنّه غلبته عيناه فأخذ سارق مدفعا من يده، وسلبه وهرب فتبعوه، فرمى لهم البرنس، ورماهم برصاصة فلم يصب أحدا فصعد جبلا، ونجا بالمدفع نسأل الله العافية فيما نستقبله دينا ودنيا بمنّه ثم ارتحلنا."[20] ومما زاد في نشاط الحركة التجارية، وتنوعها، التنوع البشري العربي والبربري، الأول يمارس الرعي وتربية المواشي، والثاني مستقر يمارس النشاط الفلاحي بالإضافة إلى نشاط القوافل التجارية التي كانت كانت تأتي بسلعها للتبادل مع منتجات أخرى، كما أنّ القوافل التي كانت تشد الرحال إلى منطقة توات كانت تجلب معها مواد غير متوفرة في منطقة القصور، إذ يشير الباحث فرج محمود فرج " أنّ القوافل القادمة من سعيدة البيض والأبيض سيدي الشيخ ومشرية وعين الصفراء فكانت تقصد أسواق توات في شهر ديسمبر من كل عام، وتأتي منها بالسلع الاستهلاكية والغذائية لمبادلتها بالمنتجات التواتية كالسمن والزيوت والشحم والصابون والشمع والقمح والدقيق والفول وجزات الصوف وغزل القطن والفلفل وغيره.[21] ونظرا لحسن الجوار بين القبائل العربية والبربرية فإنّ جزء من المواد التي تجلب من توات أو حتى من الشمال فكثيرا ما كانت تعرض في أسواق القصور خاصة التي لا تنتج محليا فيها. وللإشارة أنّ هناك ثلاثة طرق تربط توات بمختلف أسواق شمال المغرب العربي، الأول شمالي شرقي والثاني شمالي غربي والثالث وسط شمالي، وهذا الأخير يخرج من قصر أولاد عيسى ويخترق العرق الغربي الكبير حتى يصل إلى مجرى وادي الناموس، وهذا الطريق كانت تستخدمه قوافل عين الصفراء ومشرية وأفلو وسعيدة والوسط الجزائري .[22]

كما رأينا وجود التجمعات السكانية كان عاملا في نشأة السوق فالتبادل التجاري يقتضي وجود الأمن، إذ تأسست الزوايا في عدّة مناطق من الصحراء، وأصبحت تؤمن الطريق للقوافل العابرة للصحراء[23]، لاسيما وأنّ مواقع الطريقة التجانية كانت جد استراتيجية، فهي تتمركز في مفترق طرق القوافل التجارية، مما جعلها محطات تجارية هامة يلتقي عنها تجار الشمال بتجار الجنوب. ومن بين القوافل التي كانت تجوب المنطقة قافلة ملحقة سعيدة إذ يقول فرج محمود فرج:" اجتمعت أفاريقها في موضع يسمى كريدر، وسافرت يوم 8 ديسمبر 1899م، ورجعت يوم 21 فيفري سنة 1900م. فمن كريدر سارت إلى بوسمغون ستة أيام، ومن بوسمغون إلى تيمنطيط 21 يوما.[24] ومن بين القوافل قافلة دائرة المشرية وهي مؤلفة من سائر أعراش حميان. دائرة العين الصفراء مؤلفة من العمور والمخزن. قافلة جيريفيل (البيض) المؤلفة من أولاد سيدي الشيخ والطرافي وقافلة ملحقة سعيدة المؤلفة من الأعراش التالية (الرزاينة الشراقة-الرزاينة الغرابة-أولاد عمران- أولاد سيدي خليفة الشراقة)، ويذكر أنّ هذه القوافل على اختلافها مكونة من الرجال والنساء والأولاد و الإبل. كما رأينا سابقا أنّ حسن الجوار في مراحل معينة اقتضت التعاون، والتبادل بين البدو وسكان القصور. فحسب دوماس daumas " فإنّ قصر عسلة كان مخزنا لكل من حميان الشراقة (أولا سيدي أحمد المجذوب)، وفرعا من أولاد سيد الشيخ الغرابة (أولاد سيدي بن عيسى ولاد سيد التاج). أمّا في قصر بوسمغون نجد كل من الرزاينة – أولاد سيدي عبد الحاكم – أولاد سيدي محمد عبد الله – أولاد سيدي الحاج أحمد – المراسلة – المعادة (فرع من أولاد سيد الشيخ الغرابة)".[25] هذا يدلّ على الثقة التي كان يضعها البدوي في القصوري، هذا الأخير الذي هو في حاجة ماسة للبدوي مما جعل الرابطة بينهم تتقوى.[26] وكما قال الشاعر:

الناس للناس من بدو وحاضرة بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم.

وفي هذا الصدد يشير عبد القادر خليفي إلى هذه العلاقة الحميمية بين البدوي والقصوري بقوله: " لقد وُجد نوع خاص من العلاقة الحميمية بين هاتين الفئتين: الحضر والبدو، منذ عهود قديمة، وأصبح الواحد منهم ينعت نظيره بـ: "صاحْبي" أو "أصحابنا"، ويتم التزاور بينهما وتبادل السلع. حيث يزور البدوي صاحبه الحضري أسبوعيا أو شهريا ليتزود بالخضر والفواكه، بينما يزور القصوري (الحضري) صاحبه البدوي في فصل الربيع عندما تلد الشياه ويتوفر الحليب ومشتقاته، ويُزَوده البدوي بحاجياته من الحليب والأصواف وغير ذلك. وتنتقل الصلات إلى الأبناء فتتطور علاقات الأخوة بين الطرفين[27].

حتى أنّه كما قيل لنا في قصر عسلة كان بعض ساكني القصر يخصصون أماكن، وهي عبارة عن مخزن صغير تخزن في حاجيات البدوي هذا الأخير بإمكانه أخذ هذه الحاجيات حتى في غياب البربري بحيث كان له مفتاح للمخزن، وهذا ينم عن الثقة المتبادلة بين الطرفين. لقد كانت للقبائل العربية الدور البارز في الحركة التجارية وفي تنمية القصور الصحراوية، إذ قامت علاقات تاريخية طويلة بين مجتمع فلاحي الواحات وقبائل البدو في الصحراء على أساس تكاملي يظهر في تقاسم العمل، والمقايضة والمبادلات والحماية، علاقات دامت طويلا زمن ازدهار القوافل التجارية، يظهر في قوة من التماسك الاجتماعي الذي كان قائما بين البدو الرحل من التّجار أو المحاربين أو الرعاة المرّبين الذين يضمنون المبادلات وحركة السلع وحماية القصور في إطار من التحالفات والولاءات بين القصور وسكانها من

الفلاحين، ونخب المدن من الإقطاعيين والملاك الكبار الذين يجمعون الفائض من المبادلات التجارية عن طريق المساهمة في تجارة القوافل العابرة للصحراء لإنشاء المزيد من حقول النخيل والملكيات الواحاتية.[28]

ومن بين القبائل العربية التي كان لها دور في الحركية التجارية نجد بنوا عامر، وحميان الذين ساهموا في ربط قصور الصحراء بقصور بني عامر، بحيث كانت قوافل بني عامر وحميان التجارية تقوم بتصدير المنتجات الغذائية الحيوانية، كالسمن واللبن المجفف ورؤوس الماشية والصوف، والوبر والشاي والقباعات المزخرفة بريش النعام، والنسيج الصوف وفليج الخيام، والبرانس والغطية والحبوب التي كانت تستوردها قبيلة بني عامر وحميان من المنطقة التلية، وكانت قوافل بني عامر وحميان تستورد من قصور الصحراء التمر والملح ، ومن أهمّ أسواق الصحراء التي تعود عليها بنوا عامر وحميان هي قورارة وتيمون ، وفجيج وتمنطيط وبودة ومدن مصاب كغرداية والقرارة وعين صالح ، وأسواق قصور بني عامر، كبوسمغون ومغرار وعسلة وتيوت والشلالة والعين الصفراء.[29]

إنّ وجود السوق خارج القصر حتى يتمكن البدور الرحل من عرض منتجاتهم لأهل القصر، وكذا اقتناء ما يحتاجونه من مواد تصنع داخل القصر. لقد استطاع الرحالّة المغربي العياشي أن يصف سكان القصور من خلال الزّيارات التي كانت تقوده إلى الحجّ بناءا على ما ذكره مولاي بلحميسي:"...أنّ سكانَ القصور المحاطة بأسوار مزارعون لوجود الماء، ولذا تحولت قراهم إلى أسوق ومراكز تموين، ومحل مبادلات"[30].

من أكبر أسباب عمران الأسواق وطرق التجارة بالقوافل كان الحجّ، فإنّ الحجّ كان نعمة كبرى على العالم الإسلامي، ولولا الحجّ وانتظام أوقاته لما عمرت طرق المسلمين بالقوافل والتجارة، لأن كل بلد من بلاد الإسلام كان يرتب شؤون تجارته بحسب موقعه من الأراضي المقدسة فأهل المغرب والأقصى والأندلس كانوا يخرجون إلى للحجّ في قوافل ضخمة قبل الموسم بسنة ونصف على الأقل، وكان كلّ حاج يحمل معه شيئا من محصولات بلاده المطلوبة في بلاد أخرى، يبيع ويشتري على الطريق، وهكذا كانت ركبان الحجّ تعتبر من عوامل الرخاء الاقتصادي في العالم الإسلامي، وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى منافع الحجّ إلى جانب ثواب أدائه .[31]

وقد يجد المسافرون في أسواق القرى والأمصار ما يحتاجون إليه من قمح وعلف وسمن ولحم ودواب وهذا دأبهم الذي يدوم شهورا عديدة.[32] والدليل على وجود السوق وازدهار التبادل التجاري مثلا بقصر بوسمغون ما أورده العياشي أثناء عودته من الحجّ، وهو في طريقه إلى المغرب نزل بقصر بوسمغون إذ يقول :" اشتريت من هناك حمارا بأربع ريالات لأنيّ أضعفني المشي، واكترى أمير الركب رجلا من أولاد سيدي سليمان بن أبي سماحة هب بهم ذات اليسار حتى يخرجوا في فقيق".[33] فالصحراء في عهد الرحالة العياشي عبارة عن سوق مكتظة بالقوافل المتجهة كل الاتجاهات المتنقلة بأنواع البضائع والسلع...وللحجاج حاجات يبحثون عنها دون غيرها وهي القمح والدقيق والسمن واللحم والدواب، فينفقون من أجلها ما لديهم من الذهب، وأحيانا ما يحملون من الكتب.[34]اعتبر سوق قصر بوسمغون من أرخص الأسواق التي مر بها الرحالة العياشي إذ يقول:" وفي الغد مررنا بقرى بأصبحا، وفي الذي يليه نزلنا أبو سمغون عند المغرب فوجدناه أرخص من كثير من البلاد التي مررنا عليها قبل.[35] لقد أرجع ابن خلدون رخص الأسواق إلى صغر المصر وقلة الساكن ولقلة العمل فيها وما يتوقعونه لصغر مصرهم من عدم القوت فيتمسكون بما يحصل منهم بأيديهم فلا ينفق لديهم سوقه فيختص بالرخص في سعره.[36] لكن إذا كان العياشي يقصد القصور المجاورة التي مرّ بها

فهي تقريبا مشابهة لقصر بوسمغون من حيث الصغر وقلة الساكنة بها وهي تقريبا مناطق بربرية إذ في موضع آخر يرى " أنه لما كانت بلاد البربر بالعكس من ذلك في زكاء منابتهم وطيب أرضهم ارتفعت عنهم المؤن جملة في الفلح ، مع كثرته وعمومه فصار ذلك سببا لرخص الأقوات ببلدهم.[37]

لقد عرف قصر بوسمغون وقصر عسلة صناعة الصوف (الجلابة والبرنوس) التي كنت تخضع للمبادلات التجارية في السوق المحلية " أما الأنسجة الصوفية المعتمدة على الإنتاج المحلي من الصوف، فكانت تصنع الأغطية والجلابيب والأحزمة، وقد انتشرت صناعة البرانيس في أغلب جهات البلاد وإن كان أشهرها برانيس الأطلس الصحراوي التي كانت تباع ب100فرنك للبرنوس الواحد".[38] كما يرى أبو القاسم سعد الله "أن سكان الأطلس الصحراوي كانوا يصنعون البرانس والزرابي والحصير التي كانت تأتي بدخل طيب لهم وللدولة. وكانت منتوجات منطقة الشلالة مطلوبة لشهرتها وجودتها." [39] ولما نقول منطقة الشلالة فيدخل في نطاق ذلك القصور المجاورة ومنها قصري عسلة وبوسمغون. بالإضافة إلى أنّ سكان القصور معروفين بالكرم والضيافة، كما أنّ بوسمغون شهدت نشاطا فلاحيا منقطع النظير نظرا لشهرتها بالحرث والزراعة ووفرة بعض المحاصيل الزراعية كإنتاج التمر وبعض الخضروات وهذا ما أكده الرحالة في الفترة العثمانية أبي العباس الهلالي السجلماسي في قوله:" وفي هذه البلدة شعير جيد جدا، وأخبرونا أنّهم يعالجونه في الحرث وما بعده، ويقاسون فيه جهدا، ثم ارتحلنا من هناك وقد نالت دوابنا بكثرة الشعير عيشا رغدا.[40]

ذكر قصر بوسمغون في الرحلة الناصرية ص 30من الجزء الأول

لكن في العصر الحديث كان قصر بوسمغون والقصور المجاورة منها قصر عسلة يتعامل بالدنانير الذهبية الزيانية، وكذلك وحدة التبر بالوزن الزياني ، في حين أنّ الحجّاج المغاربة كانوا يستقدمون معهم عملة الريال الإسبانية لأنّها نافذة في كل

المحطات، وكان الريال يصرف ب 6 أوراق كما كان مساويا للدينار الذهبي العلوي، بينما المثقال يأتي في الدرجة الثانية بعد الريال.[41]

إذن ظلّت منطقةُ القصور عبر التاريخ القديم والحديث واسطةً بين الشمال والجنوب، ومعبرَ القوافل لنشر الإسلام. هذه المحطّات التجارية خاصة هي التي جعلت منها قصوراً. " فالعلاقات الاقتصادية قد حدّدت نمط قيام الظاهرة العمرانية في الجنوب الجزائري.."[42]ولكن مقارنة بين سوق قصر عسلة وقصر بوسمغون يبدوا أنّ الحركية الاقتصادية كانت في قصر بوسمغون وذلك لعدة عوامل وهي: وجود الزاوية لسيدي أحمد التجاني جعلت القصر يتوافد عليه الكثير من الزوار، وأتباع الطريقة وهذا من شأنه أن يحرك عملية البيع والشراء هذا من جهة، ومن جهة أخرى دفع المال، والزكاة للتجاني ودليل ذلك ذكرناه سابقا في الرسالة التي بعثها التجاني إلى أهله في عين ماضي يستنجدون به فأجابهم " قد حان انتقالي من هذه البلدة لكن الأسباب الإلهية أعجزتني عن الإنتفال إليكم لكوني ثقيل الحمل لا يحملني إلا سبعون بعيرا أو ثمانون بعيرا ولا أجدها في هذا الوقت لا عندي ولا عندكم."[43] هذا يدل على وفرة المؤونة لدى الشيخ في القصر ، كما أنّ الموقع الإستراتيجي لقصر بوسمغون جعلها معبرا لقوافل الحجيج، والتجار والتي أشارت إليه المصادر التاريخية كالعياشي أبوالعباس الهلالي وغيرهم والتي لم يذكر فيها اسم عسلة، وهذا لم يمنع من وجود حركة تجارية بقصر عسلة ذلك أنّها كانت كذلك محطة لبعض الوافدين من الشمال والجنوب من التجار، ولم تكن طريقا عابرا للحجيج. نجد الرحالة المغربي أبي العباس الهلالس السجلماسي في رحلته إلى الحج قد وصف الرحلة من الزاوية الزينية بإقليم سجلماسة بجنوب المغرب الأقصى إلى مدينة توزر التونسية مرورا بالمنطقة الصحراوية الجزائرية حيث ذكر عدد هام من أسماء المناطق الحضرية، والبدوية على طول هذا الخط كمدينة سجلماسة، سهلة، البريكات، ما دلس، واد الصفصاف، وادي جير مسور، القنادسة، بشار، واكدة، زريف، المعرر، أم الياس، فقيق، بوسمغون، الغاسول، عين ماضي، تاجمونت، دمر، أولاد جلال، بسكرة، سيدي عقبة، حامة، توزر.[44] كما أنّ الشيخ أحمد التجاني يذكر في رسالته لأهله في عين ماضي "وقد عاجلني في هذه الساعة السفر إلى بلاد أنقاد لأجل شراء الزرع الذي أنا محتاج إليه ولا أقدر على التخلف عنه حتى ساعة، لكثرة ما يلزمني من أكل الطعام".[4645]

الهوامش

[1] - عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص 155.

[2]- يقصد بالقيسارية في المصلح الأثري المعماري نمط من أنماط الأبنية التجارية في العمارة الإسلامية عامة ، يغلب على الظن أنه مأخوذ من القيصرية اليونانية بمعنى سوق القيصر أو السوق الإمبراطوري ،الذي استخدم خلال العهصر اليوناني كمخازن ومساكن تحت إشراف ملكي ...انتقلت إلى العمارة الإسلامية حيث غلب عليها طابع تجاري بحت ...فكان الشارع التجاري بما فيه من القياسر والأسواق من أهم العناصر التخطيطية المشتركة في المدينة الإسلامية وغيرها من مدن العالمين القديم والوسيط في الشرق والغرب على السواء.أنظر المرجع نفسه، ص 245.

[3] المرجع نفسه،ص 155.

[4] من سورة الفرقان الآية 20.

[5] عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية ، عالم المعرفة ،المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1988، ص 252.

[6] - ابن خلدون، المقدمة، الجزء الأول، ص 239.

[7] - تومي اسماعيل ،العمارة والعمران في ظلال القرآن،-www.arch.arab-eng.org - ،ص 57.

[8]- دائرة المعارف الإسلامية، المجلد 12، ص380.

[9] - خالد عزب، تخطيط وعمارة المدن الإسلامية ،كتاب الأمة ، العدد 57،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية قطر،1418هـ، ص 54.

[10]- محمد عثمان عبد الستار، المرجع السابق، ص161.

[11]- المرجع نفسه، ص 109.

[12] - تغلب أحمد محمد، المدينة الإسلامية، اليونسكو، 1983، ص 112.

[13] حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987، ص 395.

[14]- أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، بداية الاحتلال، ط 3، ش و ن ت، الجزائر، 1976، ص 154.

[15] فاطمة بلهواري، الصناعة في المنظور المغربي بين التنظير والواقع التاريخي، عصور، مجلة فصلية يصدرها مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم، عدد 6-7 جوان – ديسمبر، 2005، ص 247.

[16] - محمد عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص، 227.

[17] - المرجع نفسه ، ص،228.

[18] فاطمة بلهواري، وصف الجنوب الصحراوي الجزائري في ظل الحكم العثماني، المرجع السابق، ص73،

[19]- محمد الكبير فقيقي، حاضرة بوسمغون في المصادر المغربية أثناء العصر الحديث، مجلة المواقف للدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ ، جامعة معسكر،العدد رقم 6، ديسمبر، 2011،ص308.

[20]- فاطمة بلهواري،وصف الجنوب الصحراوي المرجع السابق، ص 78.

[21] - فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن والتاسع عشر الميلاديين، دراسة لأوضاع الإقليم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، د م ج، الجزائر، 1977، ص 71.

[22]- المرجع نفسه ، ص، 78.

[23] -Louis Rinn, Marabouts et khouans, etude sur l’islam en Algerie, adolphe jourdan, Alger, 1884 , p424.

[24] - فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 125.

[25] -Daumas (l.c.) Le Sahara Algérien études géographiques, statistiques et historiques sur la région au sud des établissements français en Algérie,fortin Masson et Cie , paris ,Alger. 1845p-p,245-246.

[26] -FÉLIX JACQUOTExpédition du général cavignac dans le Sahara algérien, avril et mai, (paris 1847)p , 264.

[27] - عبد القادر خليفي، الماء وطقوسياته في منطقة القصور، مجلة إنسانيات، العدد 19-20، 2003، ص82.

[28]- خليفة عبد القادر، من القصر الصحراوي إلى المدينة الحديثة ،مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية ،العدد الأول 2010، ص 131.

[29]- قوراري عيسى، قبيلة حميان من القرن(5-8هـ - 11- 14م) دراسة تاريخية وثقافية ، أطروحة دكتوراه ،قسم الثقافة الشعبية ، جامعة تلمسان، 2008، ص 297.

[30]- مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني،ط2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص، 27.

[31]- حسين مؤنس ، أطلس تاريخ الإسلام ،المرجع السابق ،ص،395.

[32]- مولاي بلحميسي ، المرجع السابق ، ص ،26.

[33] أبو سالم العياشي ، الرحلة العياشية (1661م -1663م)، تحقيق و تقديم سعيد الفاضلي وسلمان القرشي ، المجلد 1، ط1 دار السويدي للنشر والتوزيع ، أبو ظبي ، ص 549

[34] مولاي بلحميسي ، المرجع السابق،ص،29.

[35] أبو سالم العياشي ، المرجع السابق ، ص 548

[36] ابن خلدون، المقدمة، ،تحقيق وتقديم عبد السلام الشدادي ،ج 5، بيت الفنون والعلوم والآداب ، الدار البيضاء ، المغرب 2005 ، ص 90.

[37]- المرجع نفسه، ص91.

[38] -ناصر الدين سعيدوني ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر(العهد العثماني)،1984 ، ص69.

[39]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 154.

[40] - فاطمة بلهواري، وصف الجنوب الصحراوي ، ص 75.

[41] - محمد كبير الفقيقي، المرجع السابق، ص310.

[42] - محمد الطيب عقاب ، مساكن قصر القنادسة في المنظور الأثري ، دار الحكمة ،الجزائر ، 2010، ص05.

[43] - أحمد سكيرج ، كشف الحجاب عن ما تلاقى مع التجاني من الأصحاب ، ص-ص 403-404.

[44] - فاطمة بلهواري، وصف الجنوب الصحراوي ، ص 73.

[45]- أحمد سكيرج ، المرجع السابق، ص 404.